الاسلام بين العلماء والحكام

الإسلام

بين

العلماء والحكام

عبد العزيز البدري

★

منشورات المكتبة العلمية
لصاحبها محمد نمنكاني
المدينة المنورة

جَميع الحقوق مَحفوظة

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

الإهـــدَاء

الى العلمـــاء العاملين ... موعظة للعلماء غير العاملين الذين رضوا لأنفسهم طريق الكسل والخمول والقعود .

والى الحكام الصالحين ... تذكرة للحكام غير الصالحين .

الذين انحرفوا عن حكم الاسلام وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً .

اهدي هذا الكتاب موعظة وذكرى ...

عبد العزيز البدري

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوة الاسلام ، حتى قيام الساعة .

.. حفلت الدولة الاسلامية ، في تاريخهـــا الطويل ، بمآثر جليلة سجلها العلمـــاء في مواقفهم الخالدة والفذة مع الحكام ، تلك المواقف التي اتسمت بالصدق والجرأة ، والاخلاص لله ولدينه الحنيف ، فكانوا نجومـــاً وضّاءة يهتدي بهم الحكام والمحكومون في ظلمات الحياة ..

لقد أظهر العلماء في تلك العصور ، عزة الاسلام ، وأبانوا فيهـــا حقيقة الشريعة الاسلامية الغراء ، صافية نقية مكينة ، في صلابة موقفها من الحكام المنحرفين عنها ولو قيد أنملة ، وفي معالجتهـــا لجميع شؤون الدولة التي يرأسها الحكام ويخضع لسلطانها المحكومون ، كاشفين للعالم أجمع أثر صلابة الايمـــان بالشريعة الغراء في النوازل والخطوب ، متحملين بصبر وشجاعة ، مـــا ينتج عن الجهر بكلمة الحق عند سلطـــان جائر ، غير هيابين سلطان الحكام ، ولا قوة الدولة ولا صولة الجند ...

ولا غرابة في ذلك ، فهم أهل لهـــذه المواقف لأنهم حملة لواء الشريعة الاسلامية الحقيقيون .

إن الحكام الظالمين الذين تولوا أمر الاسلام حيناً من الدهو ، لم يستطيعوا البتة تسخير العلماء الأبرار لتنفيذ أهوائهم أو السير في ركابهم المعوج مع مـا أوتوا من قوة بأس وشدة جبروت ، وتمكين في النـيْل .

وكيف لا يكون ذلك ، وقد نهي العلماء والمسلمون أجمع ، أن يركنوا إليهم لقوله تعالى :

(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) [1] .

لذلك نجد منهم المحاسبين للحكام ، المنكرين عليهم سوء أفعالهم ، وقبيح تصرفاتهم وفساد أفوالهم .

كما نجد منهم ، الناصحين لهم ، الرافضين منحهم ، الصابرين على محنهم.

ومنهم المعرِضون عن مواجهتهم ، والساعون لهذه المواجهة بقصد إسماعهم مقالة الاسلام صريحة جريئة لا غموض فيها ولا كنايات !! ولا استعارات ولا ذبذبة !! حيث لا يخافون لومة لائم .

ثم نراهم الركع السجد في حضرة الحكام . يلتمسون رحمة الله ، وطلب رضاه . يكتبون ويؤلفون ويهدون الناس الى الطيب من القول ، خدمـــة للاسلام ورعاية للمسلمين . وهذا ما ينفعهم في دنياهم واخراهم .

مستحضرين قول رسولهم القدوة الحسنة ﷺ :

(اذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث ... أو علم ينتفع بـــه ... الحديث) [2] لأنهم شموع تضيء وسرج تنير أينما حلوا .

---

(١) آية ١١٥ هود .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له) رواه مسلم .

أما في الجهاد ومقاتلة الاعداء، فهم في مقدمة الجند وعلى رأس النفيضة .

وهكذا أثبت العلماء من قبل ، أن وجودهم هو من اجل الاسلام وحده، وأنهم حقاً (ورثة الأنبياء) وسيرى القارىء الكريم ، صدق هـــذا القول جلياً في حوادثهم ومواقفهم مثبتاً بين طيات هذا الكتاب .

ذهبت الدولة الاسلامية : إذ استطاع الـكافر المستعمر ان يقضي عليهـا – في غفلة من الأمة – بوسائله الاستعمارية الماكرة، وخيانة أبناء من أمتنا ، الذين انطبعوا بثقافته الاستعمارية الكافرة ، واستجـابوا لإغرائه ، وصدقوا وعوده البراقة : « وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » [1] .

بعد ان كانت هذه الدولة : الدولة الأولى في العـالم ، قرابة الف سنة او تزيد ، حيث انتزعت زمام القيادة من دواقي الفرس والرومان ومن شايعهما ودار في فلكهما . حتى وصلت الى درجة انها ان اشارت الى الشرق يطأطىء وان أشارت الى الغرب يومىء،وأضحت زهرة الدنيا حضارة ومدنية ورقياً، فاتجهت اليها الأنظار ، وارتحل اليها أبناء الأقطار، يرتشفون من معينها الذي لا ينضب ، ويستظلون بلوائها ، الى ان ترك المسلمون – حكاماً ومحكومين – حمل رسالتهم الخالدة ، وتقاعس العلماء عن اداء مهمتهم ، وتباطأوا عن حمل لواء شريعتهم بعد ان وقع اللواء...فانتقلوا من مركز القيادة الى درك التبعية وصار المسلمون – حكاماً ومحكومين – يرددون مـا يقوله اعداؤهم الحاقدون الكافرون المستعمرون الملحدون من شرق وغرب ، عن اسلامهم ، دون أن يقف علماؤهم الموقف المطلوب شرعاً من ذلك .

ان الاسلام اليوم : يريد من المسلمين – خصوصاً معشر العلماء – وهم على مفترق الطرق ، أن يبذلوا أقصى الجهد ومنتهاه ، في بيان أحكامه بصراحة

---

(١) آية ١٢٠ سورة النساء .

وجرأة وحمل الدعوة اليه ، جاعلين وجودهم قائماً على أساسه . فـــاذا هم لا ينصرون حقاً ولا يمنعون باطلاً، ولا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، ولا يحاسبون حكاماً ولا ... فما فائدة وجودهم اذن ..؟ وكان بطن الأرض خيراً لهم من ظهرها .

والعلماء الذين قصروا تجاه اسلامهم ، فهزموا في المعركة معركة الاسلام والكفر ، عليهم أن يقتفوا اثر السلف الصالح من العلماء العاملين ليجعلوا من الفشل الذي حـاق بهم نصراً مبيناً ليعيدوا الى الاسلام سيرتـــه الاولى باستئناف حياة اسلامية ، يعز بها الدين وعلماؤه واتباعه ، ويخذل بها الكفر وجنده وانصاره .

ولنعد جميعاً الى الله تعالى اولاً فعنده النصر المبـين ان اخلصنا النية له ، واتبعنا شرعه ، ثم نقوم مستفرغين كل جهودنا لحمـل راية الاسلام ، واقامة حكم القرآن، مضحين في سبيل اعلاء كلمة الله، ولو كره الظالمون والكافرون. ولنبتعد عن الكسل ، ونذهب عن نفوسنا الاستكانة ونـــزع عنها حب السلامة التي سيطرت على بعضنا . فليست تلـك والله من شيم العلماء الابرار حملة الشريعة السمحاء ، واتباع سيدنا محمد بن عبد الله . ﷺ .

وليكن علماؤنا اليوم حقاً ورثـة الانبياء . يوزعون على المسلمين حكاماً ومحكومين ميراث نبيهم الكريم بالقسطاس المستقيم . لا ظالم فيه ولا مظلوم.

ان الاسلام اليوم ، يريـد من الحكام ، الذين تولوا امر المسلمين في بلادهم من اقصاها الى اقصاها ، ان يعودوا الى انفسهم فيحاسبوها على ما فرطت في جنب الاسلام ..

وليعلموا ان حكمهم مهما طال ، فانـه قصير في عمر امتهم الطويل وايام العمر تمضي سراعاً ، وضمة القبر بفتنته وسؤاله آتية لا ريب فيها ، وحساب

الله عسير. وعليهم ان يرجعوا الى الاسلام الذي يدعون الايمان به والانتساب اليه فالايمان يعني التقيد بأوامره . وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، وتطبيق احكامه في جميع شؤون حكمهم ، وحمل الدعوة اليه ، والقتال في سبيله ، والا كان ايماناً لا ينفع لا في دنيا ولا في اخرى .

وصدق فيهم قوله تعالى (ومن الناس من يقولوا آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون) [1] .

لقد اعتز العلماء والحكام بالاسلام ، حينما ادى كل منهما واجبه نحوه .

ولكن حين ضيع الاسلام بالقعود عن حمل الدعوة اليه ، والتضحية في سبيله . وبالاعراض عن تطبيقه ، والحكم بغيره ، صار حالنا ما نرى اليوم في جميع دنيا الاسلام ، من ذهاب عز ومجد ، وفقدان كرامة وسيادة، حتى طمع فينا اراذل القوم ..

وبعد : فقد كانت (الاستراحة) الجبرية التي فرضت عليّ في داري والتي امتدت الاولى سنة بالتمام والكمال [2] من نعم الله تعالى عليّ ، فقد شغفت بالتفتيش في بطون كتب السير والتاريخ والتراجم والطبقات، لمعرفة مواقف علماء السلف الصالح مع الحكام . طيلة وجود الدولة الاسلامية ، منذ ان اقامها سيدنا الرسول الكريم ﷺ في مدينته المنورة الى ان استطاع الكافر المستعمر ان يقضي عليها سنة ١٣٤٣ هـ . فدفعتني هذه المعرفة الى تسجيل تلك المواقف بجزئياتها وكلياتها وجمعها مما تيسر لي ووفقت اليه . ولما جاءت الاقامة

---

(١) آية ٨ و٩ سورة البقرة .

(٢) كانت في عهد الطاغية عبد الكريم قاسم في يوم ٢ / ١٢ / ١٩٥٩ م ورفعت في ٢/١٢/١٩٦٠ م .

الجبرية الثانية [1] قمت مستعيناً بالله تعالى الىتنسيقها والاختيار منها والتعليق عليها وكتابة ما يدور في فلكها ولا يخرج عن نهجها . بكتاب فجاءت كما سيرى القارىء الكريم .

ان تلك المواقف التي اقتطفتها من سير العلماء والحكام لمأقصد بها التاريخ اذ ليست من التاريخ ببعيد . بل هي منه في الصميم .

ولم أقصد بهـا ذكر تراجيم العلمـاء والحكام . من الذين مضوا الى ربهم سبحانه .

وانما قصدت إلقاء أضواء على تلك المواقف التي اثبت فيهـا العلماء – كما قلت – انهم حقاً ورثة الانبيـاء ، فهي اذن صور لا سير . ليس فيهـا من التفاصيل بقدر ما فيها من ابراز مواطن العبر والاستبصار .

وليس الذين ذكرتهم هم جميع العلماء الذين كانوا قائمين بواجبهم الشرعي ، محافظين على ميراث النبي الكريم ﷺ وانما هناك علمـاء وعلماء . منهم من ذكرهم التـاريخ ومنهم من نسيهم وطوتهم السنون ، ولن يخلو عصر من أمثالهم حتى تقوم الساعة ان شاء الله .

وأود هنا ان أذكر القارىء الكريم الى نقطـة مهمة جديرة بالالتفات اليها ، هي ان مواقف علماء السلف الصالح رحمهم الله جميعاً ، من حكامهم ، في غلظـة الكلام ، وشدة الانكبار وعظيم المحـاسبة – من الذين سنذكر حوادثهم – ومن وصف العلمـاء لبعض حكامهم بالظلم والجبروت والغرور وبشيء من الابتعاد عن شريعة الاسلام . التي امروا ان يحكموا بهـا حكمهم

---

(١) وذلك يوم ١٩٦١/٨/٧ ورفعت في اليوم المسمى بيوم العفو العام ١٩٦١/١٢/٤ الذي شمل جميع السياسيين بل السراق والمجرمين .

وسلطانهم ، وان كان قد وقع من بعضهم ذلك ، الا انه قـد حصل بهم من الخير الكثير للمسلمين ما لم يحصل مثله بمن جاء بعدهم ، أي والله .

وهؤلاء الحكام الذين عاصروا علماءنا الأبرار ، ما كانوا يكرهون الاسلام ولا يستكبرون عن حكمه وتحكيمـه ، بل كانوا يطبقونه . ويرعون شؤون المسلمين على اساسه ، وأعلنوا الحرب على أعدائه ، ودافعوا عن بيضة المسلمين وحموا حمى الاسلام . ولكن مع ذلك ، فقد نالت الدنيـا من بعضهم ، بعض الشيء ، فحملهم على اتبـاع الهوى في بعض الأمور . حرصاً على الحكم والسلطان . وما اعظم فتنـة الحكم والسلطان !! فلم يخلُ حكمهم من مظالم بارزة وسيئات ظاهرة جعلت العلماء يقفون في وجوههم منكرين عليهم تلك المظالم عاملين على رفع تلك السيئات بذلك . وقالوا عنهم مـا قالوا .. لأن العلماء أرادوا منهم ان يكونوا على مثل ما كان عليه الخلفاء الراشدون — اذ هو المطلوب شرعاً من كل حاكم مسلم في كل حين — ووزنهم بمن كان قبلهم. فخفوا في الميزان ، فظهر التخلف وانكشف التنكب ، فلا يتوهم احـدنا ان الذين سنذكرهم من الحكام وموقف العلماء منهم ، انهم من أعداء الاسلام ، او من الكارهين له .

فكان ما كان مع أمر العلماء معهم .

وان كان أمر العلماء السلف الصالح مع هؤلاء الحكام وهم على مـا ذكرنا فكيف يكون أمر علماء اليوم من حكامهم وهم على ما هم عليه ؟؟

ان تاريخ العلماء والحكام من سلف الأمـة ، حافل بمواقف الاستبصار ومواطن الذكرى ومملوء بالدروس النافعة الرائعة ، فنحن معشر العلمـاء ، في جميع أنحاء البلاد الاسلامية ، أحوج ما نكون اليوم الى الاتعـاظ بمواقف سلفنا من السادة العلماء رحمهم الله تعالى الذين تحلوا بصفة العلم والعمل، والتقى والزهد ، والجرأة في الحق ، والصلابة في التمسك بالعدل والمحافظة على حدود الشرع ، وحمل الدعوة الى الاسلام لإقامة شرعه في الارض وتحكيم أنظمته في

الدنيا والوقوف في وجه الحكام الظالمين الذين اعرضوا عن الله فأعرض الله عنهم . وبئست عاقبة الظالمين ، لنعيد الى الاسلام سيرته الاولى ولنستأنف حياة اسلامية كريمة ، يعز بها الدين وعلماؤه وأتباعه ويخذل بها الكفر وجنده وأنصاره، ولتكون كلمة الاسلام هي العليا ، وكلمة الكفر هي السفلى ، والله بما تعملون خبير .

وما أحوج حكام اليوم في بلاد المسلمين الى الاتعاظ بمن هلك من الحكام الظالمين والتأسي بمن افضى الى ربه مرضياً بعد إسلام حكم به ، وعدل اقامه وخير نشره .

ان حكام اليوم بحاجة أكيدة الى من يذكرهم ، ويصارحهم بحالتهم ، ويدلهم على مواطن الداء ونافع الدواء بعد هذا الذي صرنا اليه — انه والله مآل ما كان يطمع بمثله عدو لئيم وأثيم ، وكافر مستعمر عنيد . والمسلمون ايضاً ما احوجهم الى معرفة شيء عن غيرة اسلافهم على الدين وأحكامه ، ووقوفهم في وجه حكام زمانهم .

ان مسؤولية الاسلام تقع عليهم كذلك ، ولن ينجوا من الاثم ان قصروا في جنب الاسلام وأهملوا حملة الدعوة اليه . قال تعالى : « فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين » [1] عسى ان تكون هذه المعرفة محفزاً لعزائمهم الفاترة التي كادت ان تموت ، وأخيراً وليس آخراً فان هذا الكتاب كما ذكرت كتب في فترة — الاستراحة — الجبرية لذا فهو يعبر عن انطباعات خاصة وإحساسات معينة يدركها القارىء اللبيب .

و « قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

عبد العزيز البدري

بغداد ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥/١٢/١ م

---

(١) آية ٦ سورة الاعراف .

العُلماء والحكّام في العَصرِ الإسلامي

لم ترفل الأمة الاسلامية بالسعادة الحقة والرفاهيـــة والأمن ، ولم تشعر بالعزة والسيادة الكاملتين في الارض إلا في ظل حكم الاسلام — ما في ذلك شك — ولم ترتح هذه الامة من حكام بمثل مـــا ارتاحت حين تولى أمرها حكام مسلمون ، آمنوا بالله واليوم الآخر وحافظوا على كتاب الله وسنة رسوله ، ووقفوا عند حدودهمـــا ، والتزموا بأحكامهما . حضروا المساجد مع الرعية ، وفتحوا لهم الأبواب ، يكرمون الزائر ، ويحترمون العـــالِم ويجلون الفقيه ، يسمعون منهما النصح والارشاد، ويتقبلون المحاسبة والانكار، أما الجهـــاد في سبيل الله فقد كان رائدهم ، لم يتخلوا عنه في أحلك الظروف التي مرت بهم ، لأنهم آمنوا بقول الصديق الأعظم سيدنا ابي بكر رضوان الله عليه « ما ترك قوم الجهـــاد إلا ذلوا » لذلك كثرت الفتوحات الاسلامية في زمانهم ، وكانوا قادة الفتح الاسلامي العظيم ، تلك الفتوحـــات التي انقذت البلاد المفتوحة من جور الاديان وظلم الحكام وفساد المجتمع ، ولا زالت آثار تلك الفتوحات العظيمة قائمة في العالم ، وتلك حقائق ثابتة لا ينكرها إلا من خبثت طويته وفسد عقله وكان ذيلا لأعداء الاسلام يردد ما يقولون ويصدق ما يفترون . كل ذلك من اجـــل الاساءة الى الاسلام والطعن بحكمه العادل الذي ارتضاه المولى الكريم سبحانه وتعالى لعباده المسلمين .

إن بعض المؤرخين من سلف هذه الامة، ذكروا حوادث لمظالم اقترفها بعض الحكام وإساءات ارتكبوها أثناء تطبيقهم لأنظمة الاسلام ، لذا قام العلماء بواجبهم الشرعي فأنكروا تلك المظالم وعملوا على إزالة تلك الإساءات، ووقفوا المواقف الجريئة أمامهم في هذا السبيل ، لأن العلمـاء ، وهذا شأنهم في كل زمان ، يريدون من الحكام أن يكونوا مطبقين لأحكام الشرع محسنين في تنفيذ أحكام الاسلام ، فلا ظلم يقع ولا إساءة تحدث .

فإذا أحدث حاكم اساءة او ارتكب مظلمة سواء أكانت عن سوء قصد او عن نية حسنة ، فإن من واجب العلماء ان ينكروا عليهم ذلـك وأن يحاسبوهم عليه ، حفظاً على بيضة الاسلام ، ورعـاية لشؤون المسلمين ، بل يعتبرون ذلك نصرة لهم مصداقاً لقول الرسول الأعظم ﷺ « أنصر أخاك ظالماً او مظلوماً قلت يا رسول الله انصره مظلوماً فكيف أنصره ظالمـاً ؟ قال : تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه »[1] .

ولم ينج الحكام من محاسبة العلماء لهم وإنكارهم عليهم ، رغم مـا كانوا عليه في احوالهم بصورة عامة تجاه الاسلام ، من تطبيق احكامه ورعـاية المسلمين على اساسه ، والقيام بفريضة الجهاد ، ولم يشفع ذلك لهم .

إلا ان بعض الحكام كانت تضيق صدورهم لهـذه الافكار ، ولم يستسيغوا مواقف العلماء معهم ، حرصاً منهم على هيبة الحكم وحباً في السلطان ، او لغفلة ينسون الله فيها . وسبحان من لا يغفل . ولا يخطىء .

لذا فان الحكام الذين عاصروا علماءنا الابرار من الذين ذكرت اخبارهم وسطرت حوادثهم ، وموقف العلماء منهم ، قـد حصل بهم خير كثير للاسلام وفضل عظيم للمسلمين اذ كانوا يطبقون الاسلام عقيدة ونظامـاً ، والدليل على ذلك :

---

(١) اخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

ان الذي يطبق نظام الاسلام ويرعى عقيدته عملياً ، هما شخصان في الدولة ، الاول القاضي الذي يفصل الخصومات بين الناس ، ويخبو بالحكم على سبيل الالتزام ، والثاني الحاكم الذي يحكم الامة سواء سمي هذا الحاكم امير المؤمنين او الامام او السلطان .

أما القاضي فمن الثابت بشكل قطعي ان جميع القضاة الذين تولوا القضاء منذ عهد الرسول الاعظم ﷺ الى انتهاء الحكم الاسلامي في الدولة العثمانية ، كانوا يفصلون الخصومات المعروضة امامهم وفق احكام الاسلام ، سواء أكان ذلك في القضايا الجزائية أم الحقوقية أم في قضايا الزواج والميراث مما سمي بالأحوال الشخصية . أم في البينات وسائر المعاملات ، وكانت محكمة القضاء واحدة تقضي في كل الأمور حسب أحكام الشرع ، ولم يرو أن محكمة قضائية في طول بلاد الاسلام وعرضها ، قضت بقضية واحدة على غير أحكام الشرع، وأقرب دليل هو السجلات الخاصة بتلك المحاكم ، والتي ما زالت محفوظة في العراق ومصر والشام والقدس واستانبول. وبقي الحال كذلك الى أن فصلت المحاكم الى شرعية ومدنية ، وعند ذاك أخذت القضايا والخصومات المعروضة أمام المحاكم تقضي بغير أحكام الاسلام ، وذلك في سنة ١٣٢٦ هـ ١٩١٨ م حين سقطت آخر دولة اسلامية على يد الكافر المستعمر حتى ان القوانين التي بدأت تدخل بلاد المسلمين في سنة ١٨٥٧ م كقانون الجزاء وقانون التجارة وقانون الحقوق فانها لم توضع موضع التطبيق الا بعد ان نالت موافقة شيخ الاسلام – كبير العلماء – وأفتى بجوازها بأنها لا تخالف الاحكام الشرعية حتى ان العلماء لم يروا أي مبرر لإدخال القانون المدني الى البلاد الاسلامية ولذلك وضعت (المجلة) كمواد قانونية في المعاملات مستندة على الاحكام الشرعية حسب فهم واضعيها ، كل ذلك يدل بوضوح على ان المحاكم القضائيه وقضاة المحاكم كانوا يحسمون جميع القضايا على أساس أحكام الاسلام ، ولا زالت البلاد التي لم يدخلها الكافر المستعمر بجيوشه وان دخلها بنفوذه تقضي محاكمها بأحكام الشرع .

اما الحاكم فقد كان يطبق انظمة الاسلام ويبرز هـــذا التطبيق في خمسة امور ، في الناحية الاجتماعية ، والنـاحية الاقتصادية ، والناحية التعليمية ، والناحية السياسية داخلياً وخارجياً ، وناحية الحكم ؛ وهـذه طبقت جميعها من قبل الحاكم في مختلف العصور الاسلامية ، أمـــا الناحية الاجتماعية وهي علاقة الرجل بالمرأة بالزواج والطلاق والنفقة وجميع ما يتصل بهـذه العلاقة وهي التي سميت (الأحوال الشخصية) فانها لا تزال قائمة وموجودة في جميع البلاد وان غير بعض الحكام جزيئات فيها ، رغم ابتعاد الحكام عن الاسلام كنظام وعدم تطبيق احكامه في نواحي الحياة .

أما الناحية الاقتصادية ، فانها تبرز في مسألتين ، الاولى كيفية اخـــذ الدولة للمال من الأمة والثانية كيفية انفاق هذا المال ، أما من حيث أخذه ، فكانت الدولة الاسلامية تأخـــذ الزكاة على الاموال والاراضي وعروض التجارة والمواشي والزروع والثمار ، باعتبار الزكاة عبـادة ، لتقوم بتوزيعها على الذين لهم حق بها ، من الاصناف الثمانية المقررة شرعاً ، كما تأخذ الخراج والجزية وضرائب الكمارك بحكم اشرافها على التجـــارة في الصعيدين الداخلي والخارجي ، وكانت تقوم على ادارة مـا هو داخل في الملكيـة العامة ، او ملكية الدولة ، كالمعادن والقنوات وغيرها من موارد بيت المال ، امـا من حيث انفاق هذه الاموال فانها كانت توزعها حسب الاحكام الشرعية ، وقد طبقت احكام النفقة على العاجز وحجرت على السفيه والمبذر ، وأوجـدت اماكن لاحكام الفقراء والمعسرين ، ونفذت احكام العمل والعمال ، ومنعت الاحتكار والغش والاستغلال وكل وسائل الكسب غير المشروع .

ومن الحق أن نقول ان بعض الحكام كانوا يسيئون تطبيق احـكام الشرع في هـذه الناحية وكان البعض الآخر يحسن غاية الاحسان في رعاية هـــذه الناحية ، تبعاً لنفسية الحاكم ومدى التزامه بالاحكام الشرعية ، وموقف الامة منه خصوصاً العلماء، فـــاذا حصل لبعض الحكام أن يقصر ويسيء فلا يعني هذا عدم التطبيق .

أما الناحية التعليمية فـــان الاساس الذي كان قائماً على هذه الناحية هو الاسلام بتركيز العقيدة الاسلامية حين التعليم ونشر الاحكام الشرعية المتعلقة بشؤون الحياة . وتعليم الثقافـــة الاسلامية والعلوم الأخرى . حتى اصبحت البلاد الاسلامية الخاضعة لحكم الاسلام موئلا للعلوم ومقراً لدراسة المعارف . وكانت جامعاتها والمعاهد العلمية سواء اكانت في المساجد او في دور خاصة ، محط انظار العلماء واهل المعرفة ورواد العلوم وكان لتلك الجامعات والمعاهد الاثر العظيم في توجيه التعليم ونشر الثقافة في مختلف العلوم ، ومن هذه المعاهد والجامعات تخرج كبار العلمـاء والفلاسفة والمفكرون الذين لا زالت ابحاثهم ودراساتهم ومؤلفاتهم ، موضع الاكبار، ومن معينها يستقي المفكرون ويورد المربون اليوم ، وكل الذي حصل من تقصير في هـذه الناحية هو ما كان قائماً في العصور المتأخرة من قلة المدارس ونضوب العلم والمعرفة .

أما السياسة الخارجية والداخلية ، ففي الناحيـــة الداخلية كان يطبق نظام الاسلام على الأمة ، وهذا قائم ما دامت الدولة الاسلامية قائمة ، واذا حصلت اساءة في تطبيق بعض تفصيلات نظام الاسلام فـــلا يعني هذا عدم وجوده ، حيث ان المسلمين لم يرتضوا بغير الاسلام نظاماً لهم، كما لم يستوردوا نظاماً ولم يسمحوا بدخول نظام اجنبي ، بـل لم يترجموا اي نظام في الوقت الذي ترجموا الفلسفات الاجنبية والعـلوم والمعارف ، وفي الناحية الخارجية كانت علاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول قائمـــة على اساس الاسلام ، وكانت الدول في العالم تنظر الى الدولة القائمـــة في العالم الاسلامي ، دولة اسلامية فاحكام المعاهدات والجهاد وسائر الاعمال السياسية كانت تستنبط من ادلة الشرع وقد خلف العلماء ثروة هائلة من الافكار الاسلامية في هـذه الناحية وغيرها .

أمـــا نظام الحكم المطبق في العصور الاسلامية ، فقد كان نظام حكم اسلامي ، فكان جهازه اسلامياً حيث قام على سبعة اركان (١) الخليفة وهو

رئيس الدولة (٢) المعاونون للرئيس في الحكم (٣) الولاة في الاقاليم (٤) القضاة (٥) الجيش (٦) الجهاز الاداري (٧) مجلس الشورى ، وهـــذا الجهاز كان قائماً . وتفصيل ذلك :

إن الأمة الاسلامية من لدن حياتهم في المدينة المنورة، حتى سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤ م كان عليهم خليفة، وان سمي في بعض العصور بالسلطان او الملك[١] والمعاونون وهم الهيئة التنفيذية فقد كانوا موجودين في جميع العصور وان وصفوا بلقب الوزراء في بعض العصور كالعصر العباسي أمـا الولاة والقضاة والجهاز الاداري فقد كانوا موجودين كذلك ولا زالت هذه المناصب موجودة في بعض الاقطار في العالم الاسلامي .

اما الجيش فوجوده لا يحتاج الى دليل إذ هو صاحب الفتوحات الاسلامية العظيمة وهو القوة الجبارة التي كانت ترهب الكفار في العالم .

أما مجلس الشورى فإن من الأمانة في البحث ان نقول انه لم يعن به من قبل الحكام عناية حقة إلا في زمن الخلفـاء الراشدين رضي الله عنهم . فقد كان غير هؤلاء يكتفون بأخـــذ المشورة من افراد معينين وثقوا بهم ، وهم الذين سموا بأهل الحل والعقد في بعض العصور ومنهم من اتخـذ من معاونيه او من معاونه الأقدم سبيلاً لتحقيق الشورى ، وان كان من الواجب ان يكون هذا المجلس قائماً لأنه من حق الامة على الخليفـة ، لذا فالذي حصل في العصور المتأخرة في مسألة الشورى تقصير ، ومع ذلـك فان الحكم كان اسلامياً ، ولأن الشورى هي لأخذ الرأي بخلاف المجالس النيابية في النظـام الديمقراطي فهي للحكم .

---

(١) الملك حسب واقعه الذي كان قائماً يختلف عن مفهوم نظام الملكية في النظم الديمقراطية في الوقت الحاضر . ولذلك لا تصح هذه التسمية على خليفة المسلمين بعد ان عرف وشاع مفهوم الملك في الوقت الحاضر .